الفصاح من عبارات العامّة

هشام النحاس

نشف

لعلي مستطيع أن أكتب مفصلاً في موضوع فصاح العامة في (المعجم المدرسي)[1] ، أما الآن فأشير الى ما تحت عنوان (نشف) فيه :

[نَشِفَ الشيءُ ينشَفُ نَشْفاً ونَشَفاً : جف ... ونَشِفت البئر : انقطع ماؤها . ونَشِفَ المنديل العرقَ ، والحوضُ الماءَ : امتصّه ... .

المِنْشَفَةُ : منديل يُنَشَّف به الوجه واليدان ونحوهما (المجمع) (ج) مناشف . نَشَّفَ الشيءَ : جففه ...

تَنَشّفَ الرجلُ : مسح الماءَ عن جسده بمنديل ونحوه ...][1] .

وأحمد بن فارس أقدم علماء فقه اللغة يقول في (معجم مقاييس اللغة) : [النون والشين والفاء أصل صحيح يدل على ولوج نَدى في شيء يأخذه . منه : النَّشْف : دخول الماء في الثوب والأرض حتى ينتَشِفاه . والنِّشْفَة : حجر . سميت لانتشافها الوسخَ عن مواضعه . والجمع النِّشَف .

(ويقال ان النَّشْف)[4] في الحياض كالنزح في الركايا . والناقة يُدِرّ قبل نِتاجها ثم تذهب درّتها : منشاف ونشوف][2] .

وفي الحاشية ٤ [التكملة من المجمل][٢] .

وفي كتبنا المدرسية ، وفي غيرها ،وفي الكتابات الحديثة تجد الأحاديث تستفيض في موضوع : جفاف بيئاتنا الصحراوية ، ولا أكاد أتذكر كاتباً استعمل (النشف) أو ما في مادة مشتقاته الواردة في العامية الدارجة على الألسن دون الأقلام والورق ... فلماذا هذا الهجران ؟ وما الذي يدفع الكتّاب والمثقفين المعاصرين الى التباعد عن استخدام ما نجده مبثوثاً في المعجمات وكتب الأصول اللغوية من مئات العبارات الفصاح الواردة في اللهجات العامية الشعبية من أمثال هذا الفعل : نشف ،الدارج على ألسنة الشعبيين ؟ ولماذا أتعب أساتذتنا أنفسهم وأتعبونا منذ طفولتنا ،وهم يعلموننا كيف نستبدل بلزق : لصق وبهندز : هندس ، وببرد قارص :قارس .. وبنشف : جف .. و .. وبكل ما هو عامي دارج من فصاح العبارات ،فصاحاً أُخَر تبتعد بنا عن الألفاظ الشعبية الدارجة ، من غير أن يخطر بالبال ضرورة التأكد والتثبت من دقة الاختيار وصوابه ومقدار موافقته المقصود من التعبير ! أليست هذه الجهود التربوية التعليمية المهدورة طاقة لا بد من ترشيدها ؟

أحمد رضا صاحب كتاب (ردّ العاميّ الى الفصيح)[٣] لم يكتب فيه عن النشف ، وانما فصّل القول في هذه المادة في معجمه (متن اللغة)[٤] ولكنه لم يفرد لها حاشية من حواشي معجمه التي كان يخصصها لعلاقة العامي بالفصيح ، فكأنه يجد فصاحتها بديهية معروفة ومفروغاً منها فلا تحتاج الى أن تذكر في فصيح العامي الذي يذكر منه ما قد يلتبس أو يُجهل فقط ، فكيف ولماذا يفضل معاصرونا : الجفاف ؟

خطر ببالي أولاً أن (نشف) وأسرة مشتقاته مما لم يرد في القرآن الكريم . ولكني لم أجد فيه (جف) وأسرتها أيضاً، فقد لاحظت أن الذكر الحكيم يستعمل (يبس) كما في قوله عز وجل : (ولا رطب ولا يابس)[٥] أو قوله : (طريقاً في البحر يبساً)[٦] أو (وأخر يابسات)[٧] .

كما قد يَرِد فيه التعبير عن ذهاب الماء مثل : (وغيض الماء)[٨] و (إن أصبح ماؤكم غوراً)[٩] .

فلأغير وجهة البحث ، ولأسأل :أيهما أدق وأوفق تعبيراً جفّ أم نشف ؟ وللاجابة نحتاج الى دراسة لغوية تقوم على الموازنة بين معنييهما واستعمالاتهما. موازنة لست واجداً اياها جاهزة حاضرة،في كتب اللغة ومعجمات الألفاظ أو المعاني المتوافرة ، قديمة أو معاصرة ، ولكن عليّ أن أعرض للقارىء النقول المتاحة في مظانّها من المراجع اللغوية ، لقصّ الموازنة المنشودة وتفصيلها وتجهيزها ، ما أمكن ... فلقد خاب أملي حتى في معجمات المعاني التي تفصل القول في درجات الحبّ ، مثلاً ، وتضع التسميات لكل نوع أو درجة من مثل هذا الفعل ، مما جعلني أطيل النظر فيها ؛ من (فقه اللغة)[10] للثعالبي الى (الألفاظ الكتابية)[11] للهمذاني ، والى (التلخيص في أسماء الأشياء)[12] للعسكري و (كتاب النوادر) لأبي مسحل الأعرابي[13] ، وحتى (المخصص) لابن سيده[14] الذي لفت نظري الى أنه خصص عنواناً من عناوينه لـ [نضوب الماء ونَشفَه] ، ولم أكتف بذلك فخرجت الى بعض معجمات المعلومات العامة (الكليات) للكفوي[15] مثلاً .. ولكن بلا طائل ..

وعدت ألجأ الى كتب اللغة من معجمات الألفاظ ، أضع ما كتب كل منهم عن النشاف والجفاف ، ولقد سبق أن عرضت نقلاً لابن فارس عن نشف في (مقاييس اللغة) و (المجمل)، فلأعرض نقلاً له عن جفّ فيهما : [(جفّ) الجيم والفاء أصلان : فالأول قولك : جف الشيء جُفوفاً . يجف . والثاني الجُفّ جُفّ الطلعة ، وهو وعاؤها . ويقال : الجُفّ شيء ينقر في جذوع النخل . والجُفّ نصف قِرْبة يتخذ دلواً . وأما قولهم للجماعة الكثيرة من الناس جف ، وهو في قول النابغة :

في جُفّ ثَعْلَبَ وارِدِي الأمرارِ

فهو من هذا ؛ لأن الجماعة يُنْضَوى اليها ويُجتمَع ، فكأنها مَجْمَعُ من يأتي اليها .

فأما الجَفْجَف الأرض المرتفعة فهو من الباب الأول ، لأنها اذا كانت كذا كان أقل لنداها ...][2] .

كأني أحس من جملة ابن فارس الأخيرة عن (الجفجف) ومما سبق أن رويته له عن النشف ، أن النشف العامية الفصيحة أقوى وأدق تعبيراً ، ولكني لا أزال أفتش عما يؤكد ذلك ..

و ٠٠ ليست (فصاح العامة) في(المعجم المدرسي) وحده من دون المعجمات الحديثة ، وانما بدأت به لأنه أحدث معجم حتى الآن ، يوم كتابة هذا ٠ ويمكن أن نضيف مثلاً من (الوسيط) معجم مجمع اللغة العربية في القاهرة : [٠٠٠ يقال : نَشِفَت الأرضُ : صارت نَشِفَةً ٠ ونَشِفت الأرضُ الماءَ : شربته ٠٠ وأنْشَفَ الشيءَ : نَشَّفَه ٠٠٠ وتَنَشَّف الرجلُ ٠ وتنشّف الشيءَ ٠ النُّشافةُ : الرغوة تعلو اللبن ٠ والنُّشافة : ما نَشَفَ من الماء ونحوه ٠ انْتُشِفَ : تغير لونه ٠ النَّشّافة :المِنْشَفَة ، أو واحدة ورق النشّاف ٠ النُّشْفَة : الشيء القليل يبقى في الاناء. والنُّشْفَة : ما أُخِذَ بِمِغْرَفَةٍ من القِدْر وهو حارٌّ فحُسِيَ ٠٠٠ نَشَّفَت الحلوبُ : رُئيت مرة حافلاً ومرّةً ليس في ضرعها شيء٠٠٠ ويقال :نشف ماله : ذَهَبَ ٠٠][16] ٠ ومن قول الزمخشري في (أساس البلاغة) :[٠٠٠ ومن المجاز : نشف ماله : ذهب][17] والمعجمات قديمها وحديثها تتناقل هذه النقول وغيرها أيضاً في هذه المادة التي أهملها مثقفونا المعاصرون، فمما يدل على ما كان ذكر من الجفاء بين المثقفين وبين المعجم العربي [18] أن منهم من ظن جبران خليل جبران يستعمل العامية لأنه قال في قصيدته (المواكب) التي غنت منها فيروز:(أعطني الناي) :

هل تَحَمَّمْتَ بعطرٍ وتَنَشَّفْتَ بنور

فهلا راجع مادة نشف في بعض المعجمات الحديثة كمعجم أحمد رضا (متن اللغة) أو معجم جبران مسعود (الرائد) ، أولويس معلوف (المنجد) ، أو سعيد الخوري الشرتوني (أقرب الموارد ٠٠٠)، أو بطرس البستاني (محيط المحيط) أو غيرهم ٠٠ أو في المعجمات القديمة المعروفة من مثل : (القاموس المحيط) للفيروز أبادي أو (تاج العروس ٠٠)للزبيدي أو غيرهما ٠٠ ونختتم باختيار هذا النقل من ابن منظور في (لسان العرب) : [نَشِفَ الماءُ : يَبِسَ ٠٠٠ وفي حديث طَلْق : أنه ، عليه السلام ، قال لنا : اكسروا بيعتكم وانْضَحوا مكانها واتخذوه مسجداً ، قلنا : البلد بعيد والماء يَنْشَف ؛ قال ابن الأثير : أصل النَّشْف دخول الماء في الأرض والثوب ٠٠٠ وفي حديث عمّار : أتى النبيَّ ﷺ ، فرأى به صُفْرة فقال :اغسلها ، فذهبتُ فأخذتُ نَشَفَةً لنا ، فدلكت بها على تلك الصفرة حتى ذهبَتْ؛ قال النشفة : بالتحريك وقد تُسَكَّن ،

واحدة النَّشَف وهي حجارة سود كأنهاأحرقت بالنار ، واذا تُركت على رأس الماء طَفَت ولم تغص فيه وهي التي يحك بها الوسخ عن اليد والرجل ... والنَّشْفة : الصوفة التي ينشّف بهاالماء من الأرض . الصحاح : والنّشّافة : التي ينشف بها الماء . وفي الحديث : كانلرسول الله ﷺ نَشّافة يُنَشّف بها غُسالة وجهه يعني منديلاً يمسح بهوضوءه ...][19] .

تَلَحْلَحَ

يقول الفيروز أبادي في (القاموس المحيط) في مادة (لحح) :

(.. ولَحْلَحُوا : لم يبرحوا مكانَهم كتلحلحوا)[20] .

أما صاحب (المعجم المدرسي) محمدخير أبو حرب فيقول في مادة (لحلح) : (تلحلح عن المكان : تزحزح)[21] . ولقدكدت آخذها عنه ، فأدرجها في (فصاح العامة العامة) لولا أني حين لم أجدها عندأحمد رضا صاحب (رد العامي الى الفصيح)[22] فتشت عنها في معجم رضا (متن اللغة) ووجدته يقول في مادة (لحح) :

(لحلح القوم : ثبتوا في مكانهم فلم يبرحوا . تلحلحوا : كانوا كذلك : ضد تَحَلْحَلوا . وتَلَحْلَحُوا عن المكان :تزحزحوا وتفرقوا « مقلوب تَحَلْحَلَ »[1] . اللحلح واللحلحة :الخبزة اليابسة . اللَّحْلَح : المكان الضيق . المُلَحْلَح : السيد)[23] .

ويضيف رضا في الحاشية ١ : (وعامتنا تقول : لحلح الاناءَ اذا غسله ونظفه بالماء . ورجل مُلَحْلَح : نظيف الأعمالبق فيها « ولعلها مأخوذة على القلب من حَلْحَلَه » أي أزال الوسخَ عن مكانهفيه) . ١ . هـ .

اذاً استقرىء القدماء ، وأبدأ بابنفارس صاحب (معجم مقاييس اللغة) فهو فارس هذه الميادين وابنُ بَجْدَتِها؛ يقول في مادة (لحّ) : (اللام والحاء أصل صحيح يدل على مُلازَمَةٍ ومُلازَّة . يقال : ألحّ على الشيء الحاحاً اذا أقبل عليه ولم يفتر : . ويقال : لحتعينه اذا التصقت . ومنه قولهم : هو ابن عمّه

لحّاً ، أي لاصق النسب · والمِلْحاحُ :القَتَب يعضّ على غارب البعير ··· ويقال : تلحلح القوم ، اذا أقاموا مكانَهملم يبرحوا · قال :

أقاموا على أثقالهم وتلحلحوا ·

ويقال : مكان لاحٌّ : ضيق · ورحىملحاح على ما تطحنه · ويقال : ألَحَّ الجَمَلُ ، كما يقال : خَلأت الناقة ،وحَرَنَ الفرسُ ، وذلك اذا لم يَكَدْ يَنْبَعِثُ)(٢٤) ·

ولا أكرر النقول التي لدى ابن منظور في (لسان العرب) ثم لدى مجد الدين في (القاموس المحيط) ثم لدى الزبيديشارح المحيط في (تاج العروس) أو في (مستدرك التاج وهؤلاء يفيضون في(لحلح) و (تلحلح) وكلهم يعرضونها في مادة (لحح) ·

ولكني أجد مزيداً من التوضيح لدىجمال الدين في (اللسان) في قوله : (··· ؛ وأنشد الفراء لامرأة دعتعلى زوجها بعد كبره :

تقول :

وَرْياً ، كُلَّما تنحنحا ، شيخاً اذا قَلَبْتَهُ تَلَحْلَحا

ولحلح القوم ، وتلحلح القوم : ثبتوامكانهم فلم يبرحوا ؛ قال ابن مقبل :

بِحَيٍّ اذا قيل اظعنوا قد أُتِيمُ أقاموا على أثقالهم وتَلَحْلَحوا

يريد أنهم شجعان لا يزولونعن موضعهم الذي هم فيه اذا قيل لهم : أُتيتم ، ثقةً منهم بأنفسهم ·

وتلحلح عن المكان : كتزحزح ،ويقول الأعرابي اذا سئل : ما فعل القوم ؟ يقول تَلَحْلَحوا أي ثَبَتوا ؛ ويقال :تَحَلْحَلُوا أي تفرقوا ؛ قال : وقولها فيالأرجوزة تلحلحا ، أرادت تَحَلْحَلافقبلت ، أرادت أن أعضاءه قد تفرّقت من الكبر · وفي الحديث أن ناقة رسولالله،ﷺ ، تَلَحْلَحَتْ عند بيت أبي أيوبَ ووضعت جِرانَها أي أقامت وثبتتوأصله من قولك ألحّ يلحّ ·

وألحّت الناقة اذا بَرَكَتْ فلم تبرح مكانَها ... وأما التحلحل فالتحرك والذهاب ...)[٢٥] .

كأني أجد في قول ابن منظور الذي ردده من بعده الزبيدي في (التاج) : (أرادت تحلحلا ، فقلبت)[٢٦] التوثيق المطلوب لتفسير أحمد رضا المذكور سابقاً بأن (العامة قلبتها) .

ولكن في شرح ابن منظور لهذه المادة عبارة ندّت عنه لعلها تكون المسؤولة عمّا ورد في معجماتنا الحديثة ؛ وأعتذر عن اضطراري الى اعادة عبارة ابن منظور في هذه الفقرة (.. وتلحلح عن المكان : كتزحزح ، ويقول الأعرابي اذا سئل : ما فعل القوم ؟ يقول : تَلَحْلَحوا أي ثبتوا ، ويقال : تَحلْحَلوا أي تفرقوا ؛ قال : وقولها في الأرجوزة : تَلَحْلَحا ، أرادت تَحلْحَلا فقبلت) .

لم أكتف بالعبارة : (... كتزحزح ...) في هذا التكرار لأني أريد ، بدلالة ما بعدها ، أن أُغَلّبَ على الظنّ أن جمال الدين قَصَدَ أنها مثل (تزحزح) في وزنها فقط ، ولم يقصد المعنى ، ودليلي تتمة نصه الذي أعدته لأدل على مقصده هذا ، ولقد كرره الزبيدي نصاً كما قلت سابقاً .

فظنّي ـ وليس اعتقادي طبعاً ـ أن علماء اللغة المحدثين من مؤلفي المعجمات العربية الحديثة انساقوا ، عدا أحمد رضا ، الى التوهم أن ابن منظور أراد المعنى حين قال (كتزحزح) . ففي (المعجم الوسيط) معجم المجمع في مصر ، في مادة (لحل) : (لحلح القوم : ثبتوا مكانهم فلم يبرحوا . تلحلح القوم : لحلحوا . وتلحلح فلان عن المكان : تزحزح)[٢٧] . ولقد سبق الوسيط الى معنى (تزحزح) كلٌّ من الشرتوني في معجمه (أقرب الموارد)[٢٨] . ولويس معلوف في (المنجد)[٢٩] وجبران مسعود في (الرائد)[٣٠] ، وأكثر من ذلك أن المعلوف وقبله الشرتوني قد نصّا بصراحة ووضوح على أن هذه المادة (ضدّ) ، مع أني لم أعثر عليها في معجمات (الأضداد في كلام العرب) والكتب المتوافرة منها ، وسأشكر من يعثر عليها ويوثّق تضادها هذا ويهديني اليه .

أضيف أنّ من هؤلاء المحدثين مَن يورد : (لحلح) في مادة (لحل) كمؤلفي (... الوسيط) و (... المدرسي) و (الرائد) ، ومعروف أن جبران في (الرائد) يضع (تلحلح) في حرف التاء ، ثم يضع (لحلح) في حرف اللام ، وفي كلا

موضعيها المتباعدين عنده يجعلها من(لحل) . أما الشرتوني في (أقرب الموارد) ومعلوف في (المنجد) ورضا في متن اللغة ،فوضعوها في موضعها عند القدماء من (لحح) ، وحافظ رضا على معنى الملازمةوالملازّة ..) الذي نص عليه ابن فارس وابن منظور والفيروزأبادي والمرتضىالزبيدي منذ القديم ، ونَزَع رضا مثل القدماء الى أن المعنى المناقض جاء من(القلب) الذي تعرضت له الكلمة من (تحلحل عن مكانه : اذا زال) .

دَلَقَ يَدْلُق ، واندلق ، والمَدْلوقة

لك روحي أيها الخمّار وادْلُقْ ليَ كاسا
علّني ، في غربتي ، بعضَ شجوني أتناسى

ادلق : من فصاح العامة . يقولأحمد بن فارس في (معجم مقاييس اللغة): [(دلق) الدال واللام والقاف أصل واحدمطّرد ، يدل على خروج الشيء وتقدّمه. فالناقة الدّلوق هي التي تكَسَّر أسنانُهافالماء يخرج من فمها . ويقال : اندلق السيف من غِمده ، اذا خرج من غير أنيُسَلّ . واندلقت أقتابُ بَطْنِه ، اذا خرجت أمعاؤه . واندلق السيلُ على القوم ، واندلق الجيش . قال طرفة :

دُلُق في غارَةٍ مَسْفُوحَةٍ كرعال الطير أسراباً تَمُرّ

وناقة دُلُق : شديدة الدُّفْعَة .والاندلاق : التقدم . وكان يقال لعُمارةَ بن زياد العبسيّ أخي الربيع: « دالق »[٣] .] . وفي الحاشية ٣ [في القاموس وشرحه أنه سمّي بذلك لكثرةغاراته][٣١] .

ويفصل ابن منظور في (لسان العرب) أكثر ، اذ يضيف : [... ابن سيدة : دلق السيف من غِمده دَلْقاً ودُلوقاً ،واندلق ، كلاهما : استرخى وخرج سريعاً من غير استلال ، وكذلك اذا انشقّ جفنهوخرج منه . وأدْلَقَه هو ودَلَقْته أنا دلقاً اذا أزْلَقْتُه من غمده . وسيفدالق ودَلوق اذا كان سَلِسَ الخروج من غمده يخرج من غير سَلٍّ ، وهو أجودالسيوف وأخلصُها ، وكل سابق متقدّم ، فهو دالق .

واندلق بين أصحابه : سبق فمضى ٠ واندلق بطنه استرخى وخرج متقدّماً ٠٠ ومنه الحديث : جئت وقد أدلقني البرد :أي ؛ أخرجني ٠

واندلق السيل على القوم أي هجم ٠٠٠ واندلق البابُ اذا كان ينصفق اذا فُتِحَ لا يثبت مفتوحاً ٠ ودَلَق بابَه دلقاً : فتحه فتحاً شديداً ٠ وغارة دُلُق ودَلوق : شديدة الدفع ٠ وقد دَلَقوا عليهم الغارة أي شنّوها ٠٠٠ ويقال : بينا هم آمنون اذ دَلَق عليهم السيلُ ٠ ويقال : أدلقتْ المُخّةَ من قصبة العظمِ فاندلقت ٠٠٠

٠٠٠ وجاء وقد دَلَق لِجامَه أي وهو مجهود من العطش والاعياء ٠٠](٣٢)

وترد هذه النقول أو ما هو قريب منها في معجم الفيروز أبادي (القاموس المحيط) والزبيدي (تاج العروس ٠٠٠) والزمخشري (أساس البلاغة) ٠٠٠ ثم ترد في العصر الحديث في مثل معجم الشرتوني (أقرب الموارد ٠٠) أو غيره من المعجمات الحديثة ٠٠ ولكن (المعجم الوسيط)معجم المجمع في مصر يورد أيضاً : [ودلقه : صبّه ٠ يقال : دلقَ الماءَ ٠ (مو)](٣٣) ٠ فهي لفظة مولدة في رأي أصحاب (الوسيط) وقد تابَعَهم في ذلك محمد خير أبو حرب صاحب (المعجم المدرسي حين ذكر أيضاً أنها مولّدة ٠

أما أحمد رضا فلم يوردها في كتابه (ردّ العامي الى الفصيح) ولكنه في معجمه (متن اللغة) فصّل القول فيها ،وأفرد فقرة بعنوان : [الدَّلَق : ثوب متسع الأكمام طويلها مفتوح فوق كتفيه بغير تفريج سابل على القدمين يلبسه القضاة في الدولة الأيوبية « صبح : ٤ :٤٢ » ويحسن أن يطلق على مايُسمونه الرُّوب وهو لباس القضاة والمحامين ٠ جدول رض : ٣٦ ٠](٣٤) ٠

فأحمد رضا اذاً يذكر الدَّلق في الأبحاث اللغوية في مقدمة الجزء الأول من معجمه مع بحث (الكلمات الطارئة على اللغة) في الجدول الأول الذي ذكر فيه ما عرّبه هو ، فيقول في المادة ٣٦ من جدولة : [الدَّلَق : الروب : جبّة القاضي والمحامي وقت المرافعة : ثوب كان يلبسه القاضي زمن دولة الأيوبيين « عن صبح الأعشى »](٣٤) ٠

أما (المدلوقة) فمن أنواع (الكنافة)التي تدلق القشدة عليها ، ولم يذكرها أحمد رضا في مادة (دلق) كما لم تردعنده مع الكنافة في (متن اللغة) ولا في (ردّ العاميّ الى الفصيح) ٠

الحَشْو والحَشْي

في مادتي : الحَشْو والحشي ، عددمن العبارات العامية الفصيحة، كما سنرى من الشواهد ،ولقد بلغ من اهمال كتّابناومثقفينا لها ما ، لعله ، جعل أصحاب (الوسيط) معجم المجمع في مصر ، يهملون هاتين المادتين ، في الطبعة الأولى منه عام ١٩٦٠ اهمالاً تاماً ، تداركوه في الطبعة الثانية التي استدركوا فيها كثيراً مما كان وُجِّهَ اليهم من النقد ٠

وأكاد أميل الى الاكتفاء فيهما ، بقليل من النقول عن علماء اللغة ، أضيفها الى كثير من الاستشهادبابن منظورفي (لسان العرب) الذي كتب فيها خمس صفحات كبار ، ولكن أشير أيضاً الى أن المعجمات كافة ، وكتب اللغة ، حافلة بالمادتين، الا أني أجد ابن منظور فيهما كأنه يتحدث عن فصاح عامتنا في عصرنا ،مع أن المعروف أنه سبقنا بنحو سبعمائة عام،فهو متوفى ٧١١ هـ ، ومما أورده في (لسان العرب) :

[٠٠٠ قال الأزهري : وبه سمي القطن الحَشْوَ لأنه تُحْشَى به الفُرُش وغيرها ٠ ابن سيده :وحشا الوِسادةَ والفراشَ وغيرهما يحشوها حشواً ملأها ، واسم ذلك الشيء الحشو ، على لفظ المصدر ٠ والحَشِيَّة : الفراش المَحْشوّ ، وفي حديث علي : من يَعذِرني من هؤلاء الضَّياطرة(٣٥) يتخلّف أحدهم يتقلب على حشاياه ، أي على فَرْشه ، واحدتها حَشِيّة ، بالتشديد ٠ ومنه حديث عمرو بن العاص: ليس أخو الحرب من يضع خُورَ الحشايا عن يمينه وشماله ٠

وحَشْو الرجل : نَفْسُه على المَثل ، وقد حُشِيَ بها وحُشِيَها ؛ وقال يزيد بن الحكم الثَّقَفِيُّ :

وما بَرِحَتْ نَفْس لَجوج حُشيتها تُذيبُكَ حتى قيلَ : هل أنتَ مُكْتَوي

وحُشِيَ الرجل غيظاً وكبراً كلاهماعلى المَثَل ؛ قال المَرَّار :

وحَشَوتُ الغيظ في أضلاعه فهو يَمْشِي حظلاناً كالنَّقِر

وأنشد ثعلب :

ولا تأنفا أن تسألا وتُسَلِّما فما حُشي الانسانُ شرّاً من الكِبْرِ

ابن سيده : وحُشْوَة الشاة وحِشْوَتها جوفها ، وقيل : حُشْوة البطن ما فيه من كبد وطحال وغير ذلك .

والمَحْشَى : موضع الطعام .والحَشا : ما في البطن ، وتثنيته حَشَوانِ ، وهو من ذوات الواو والياء ،لأنه مما يثنّى بالياء والواو ، والجمع أحشاء .

وحَشَوْتُه : أصبتُ حَشاه .وحَشْو البيت من الشِّعْر : أجزاؤه غير عروضه وضربه ، وهو من ذلك .والحَشْو من الكلام : الفَضْل الذي لا يعتمد عليه ، وكذلك هو من الناس .وحُشْوَة الناس رُذالتَهُم ... وحاشية كل شيء : جانبه وطَرَفُه ... وأرض حَشاة : سوداء لا خير فيها ... وتَحَشَّى في بني فلان اذا اضْطَمّوا عليه وآوَوْه . وجاء في حاشِيَتِه أي في قومه الذين في حَشاه . وهؤلاء حاشِيتُه أي أهله وخاصته . وهؤلاء حاشيتَه ، بالنصب ، أي : في ناحيته وظِلِّه ...وحاشيتا الثوب : جانباه ... وفي الحديث : أنه كان يصلّي في حاشية المَقام أي جانبه وطَرَفه ، تشبيهاً بحاشية الثوب ... وعيش رقيق الحَواشي أي ناعم في دَعَةٍ ... وأما المَحاشُ ، بفتح الميم ، فهو أثاث البيت وأصله من الحَوْش وهو جمع الشيء وضَمّه ...

والحَشِيُّ ، على فعيل : اليابِس ... وحاشَيْتُ من القوم فلاناً : استثنيت ... وحاشى لله وحاشَ لله أي براءةً لله ومعاذاً لله ... وقال أبو اسحق في قوله تعالى : (قُلْنَ حاشَ لله) ؛ اشتقّ من قولك كنتُ في حَشا فلان أي في ناحية فلان ... كذلك تحاشى من حاشية الشيء ، وهو ناحيته ...

الجوهري : يقال : حاشاكَ وحاشى لك والمعنى واحد ...

ابن الأعرابي : تحشّيت' من فلان أي تذمّمْت' ...

التهذيب : وتقول : انْحَشَى صوت في صوت، وانْحَشَى حرف في حرف ...

الجوهري : حُشْوَة البطن ، أمعاؤه . وفي حديث المَبْعَث : ثم شقّا بطني وأخرجا حُشُوتي .

الأصمعي : الحُشْوَة موضع الطعام وفيه الأحشاء والأقصاب و ... أسفل مواضع الطعام الذي يؤدي الى المذهب المَحْشاة ، بنصب الميم ، والجمع المحَاشي ... وفي الحديث محاشي النساء حرام ... قال : ويجوز أن تكون المحاشي جمع المِحْشَى، بالكسر، وهي العُظَّامَة التي تُعظَم بها المرأة عجيزتها ... واحْتَشَت المستحاضة' : حَشَت نَفْسها بالكُرْسُف أو بالمَفَارِم ونحوها ...

والحِشَى : الرَّبْو' ؛ قال الشمّاخ :

تُلاعِبُني اذا ما شئتُ خَوْد على الأَنْماطِ ذاتُ حَشَى قَطِيع

أي ذات نَفَسٍ مُنْقَطِعٍ من سِمَنِها ، وقطيعٍ نعت لِحَشى . وفي حديث عائشة ، رضي الله عنها : أن النبي ﷺ ، خرج من بيتها ومضى الى البَقِيع فتبعته تَظُنُّ أنه دخل بعضَ حُجَرِ نسائه ، فلما أحَسَّ بسَوادِها قصَدَ قَصْدَه فعَدَتْ فَعدا على أثرها فلم يُدْرِكْها الا وهي في جَوْفِ حُجْرَتِها، فدنا منها وقد وقَعَ عليها البُهْر' والرَّبْو' فقال لها : مالي أراك حَشْيا رابيةً أي مالَكِ قد وقع عليك الحشى[٣٦] ، وهو الرَّبْو' والبُهْر' والنَّهِيج' الذي يَعْرِض للمُسْرِعِ في مِشْيَتِه والمُحْتَدِّ في كلامه من ارتفاع النَّفَس وتَواتُره ، وقيل : أصله من اصابة الربوحشاه . ابن سيده : ورجل حَشٍ وحَشْيان' من الرَّبْو ، وقد حَشِيَ ... والأنثى حَشِيَة" وحَشْيا ، على فَعْلى .. والاحتشاء : الامتلاء ، تقول: ما احتشيت' في معنى امْتلأْت' ...] . أ. هـ .

أعتذر عن اطالتي النقول عن ابن منظور ، ولكن أعتذر أيضاً عن كثرة ما حذفته منها ، فقد اضطررت الى استبعاد كل ما ظننت صلته بالعاميات ضعيفة ... وما زلت محتاجاً الى اضافة قليل مما وجدته في غير اللسان ، كما في قول الزمخشري في أساس البلاغة :

[... وأخرج القصّاب حُشوة الشاة وهي ما في بطنها . وضربه فانتشرت حُشوته . واحتشى من الطعام ... وهو من العامة والحُشوة. واحتشت الرمّانة بالحَبّ ، وعن بعض العرب : رأيت أززاً كأزز الرمّانة المُحْتَشِيَة ...] .

وأعود الى تعريف ابن فارس صاحب (معجم مقاييس اللغة) مادة (حشوى) : [الحاء والشين وما بعدها معتلّ أصل واحد ، وربّما هُمِز فيكون المعنيان متقاربين أيضاً . وهو أن يُودَع الشيء وعاءً باستقصاء ... والحشا الناحية ؛ وهو من قياس الباب ، لأن لكل ناحية أهلاً فكأنهم حشَوها . يقال ما أدري بأي حشاً هو . قال : بأي الحَشا أمسَى الخليطُ المباينُ .

ومن المهموز وهو من قياس الباب غير بعيد منه ، قولهم : حشأته بالسهم أحشؤه اذا أصبت به جَنْبَه . قال :

فلأحشأنّك مِشقصاً أوْساً أُوَيسُ من الهَبَاله(٣٧)

وأخيراً ، أظن أنه حينما اكتفى أحمد رضا ، منذ نصف قرن مضى ، بما كان ذكره في معجمه (متن اللغة) من هذه المادة ، ولم يذكرها في الحواشي التي كان خص بها فصاحَ العامّة ، كما لم يذكرها في كتابه (ردّ العاميّ الى الفصيح) ؛ فلأنه ظنّ فصاحتها من البديهيات التي لا يحتاج أحد الى التذكير بها .. ولم يخطر بباله أن يتحاشاها الكتّاب حتى يهملها مجمع مصر في الطبعة الأولى من معجمه (.. الوسيط) .

* * *

الحواشـــي :

١ ـ محمد خير أبو حرب : (المعجم المدرسي) أصدرته وزارةالتربية في الجمهوريـة العربية السوريـة سـنة ١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م ٠ طباعة دار طلاس للنشر والمؤسسة العامـةللمطبوعات والكتب المدرسية بدمشق ٠

٢ ـ أحمد بن فارس المتوفى سنة ١٠٠٤ م ٠ (معجم مقاييساللغة) ٠ تحقيـق عبدالسلام هـارون ٠ ط ٠ القاهـرة سنة ١٣٦٦ هـ ٠ خمسة أجزاء ٠

٣ ـ أحمد رضا العاملي : (رد العامي الى الفصيح) ط ٢بيروت ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ٠

٤ ـ أحمد رضا العاملي : (متن اللغة) ط بيروت ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م خمسة أجزاء ٠

٥ ـ السورة /٦/ الآية /٥٩/ ٠

٦ ـ السورة /٢٠/ الآية /٧٧/ ٠

٧ ـ السورة /١٢/ الآية /٤٣/ و /٤٦/ ٠

٨ ـ السورة /١١/ الآية /٤٤/ ٠

٩ ـ السورة /٦٧/ الآية /٣٠/ ٠

١٠ـ عبد الملك بن محمد أبو منصور الثعالبي المتوفى ١٠٣٧ م٠ (فقه اللغة وسر العربية) ط ٠ القاهرة سنة ١٣٥٧ هـ = ١٩٣٨ م ٠

١١ـ عبد الرحمن بن عيسى الهمذاني المتوفى سنة ٣٢٠ هـ = ٩٣٣ م : (الألفاظ الكتابية) ط بيروت سنة ١٩١١ م ٠

١٢ـ أبو هلال العسـكري المتـوفى بعـد ٣٩٥ هـ : (كتـابالتلخيص في معرفـة أسماء الأشـياء) في جـزأين ٠ تحقيـق د٠ عزة حسن ٠ من مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشقسنة ١٣٩٠ هـ = ١٩٧٠ م ٠

١٣ـ عبد الوهاب بن حريش ، أبو مسـحل الأعرابي المتوفـىأوائل القرن الثالث الهجـري ؛ التاسع الميـلادي : (كتـاب النوادر) في جزأين تحقيق د٠ عزة حسن ٠ من مطبوعاتمجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٨١ هـ = سنة ١٩٦١ م٠

١٤ـ علي بن اسماعيل أبو الحسن الأندلسي المعروف بابـنسيده المتوفى سنة ٤٥٨ هـ : (المخصص) سبعة عشر سفرا في خمسة مجلدات ٠ ط ٠ ذخائر التراث العربي : المكتبالتجاري للنشر في بيروت ٠ طبع في المطبعة الأميرية الخديويـة وانتهى طبعه سنة ١٣٢١ هـ ٠ راجع المجلد الثـالث ـالسفر العاشر ص ٥٧ ٠

١٥ـ أيوب بن موسى الحسيني الكفوي ، أبو البقاء المتوفـىسنة ١٠٩٤ هـ = ١٦٨٣ م ٠ : (الكليات : معجم في المصطلحات والفروق اللغوية) ٠ خمسة أجزاء ٠ الطبعة الثانيـةتحقيق د٠ عدنان درويش ومحمد المصري طبعة وزارة الثقافـة بدمشق سنة ١٩٨١ ـ ١٩٨٢ م ٠

١٦ـ مجمع اللغة العربية بمصر : (المعجـم الوسيط) ط ٠القاهرة سنة ١٣٨١ = ١٩٦١ م ٠ الطبعة الأولى في جزأين ٠

١٧ـ محمود بن عمر ، أبو القاسم الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ = ١١٤٤ م ٠ (أساس البلاغة) طبعة مصورة عن طبعـة دار الكتب المصرية سنة ١٣٤١ هـ صدرت في القاهرة سنة ١٣٧٢ هـ = ١٩٥٣ م ٠

١٨ـ هشام النحاس : (الجفاء بين المثقفين وبين المعجم) مـن مقالة : (التربية اللغوية والمعجم المدرسي) في مجلة (المعلم العربي) التي تصدرها وزارة التربية العربية السوريةبدمشق ـ العدد الثاني للسنة التاسعة والثلاثين سنة ١٩٨٦ م ص ٧٣ ٠

١٩ـ محمد بن مكرم بن علي الأنصاري المصري جمال الدين بن منظور المتوفى سنة ٧١١ هـ : (لسان العرب) ط ٠ بيروت سنة ١٩٥٥ م = ١٣٧٤ هـ ٠ في خمسة وستين جزءا ٠

٢٠ـ مجد الدين الفيروز أبادي : (القاموس المحيط) ط ٠القاهرة سنة ١٣٣٢ هـ = ١٩١٣ م ٠

٢١ـ محمد خير أبو حرب : (المعجم المدرسي) ط ٠ وزارةالتربية في الجمهورية العربية السورية : المؤسسة العامة للمطبوعات والكتب المدرسية ودار طلاس للنشر بدمشق١٤٠٦ هـ = ١٩٨٥ م ٠

٢٢ـ أحمد رضا : (رد العامي الى الفصيح) ط ٢ بيروت سنة ١٤٠١ هـ = ١٩٨١ م ٠

٢٣ـ أحمد رضا : (معجم متن اللغة) ط بيروت سنة ١٣٨٠هـ = ١٩٦٠ م ٠

٢٤ـ أحمد بن فارس : (معجم مقاييس اللغة) ٠ تحقيق عبد السلام هارون ط القاهرة ١٣٦٦ هـ ٠

٢٥ـ جمال الدين بن منظور ، محمد بن مكرم : (لسان العرب)٠ ط ٠ دار صادر ودار بيروت سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ ٠

٢٦ـ محمد مرتضى الزبيدي : (تاج العروس من جواهر القاموس) ٠ الناشر دار ليبيا ٠ ط ١٣٨٦ هـ = ١٩٦٦ م ٠

٢٧ـ مجمع اللغة العربية بمصر : (المعجم الوسيط) الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م ٠

٢٨ـ سعيد الخوري الشرتوني اللبناني : (أقرب الموارد في فصح العربية والشوارد) ط بيروت سنة ١٨٩٠ م ٠

٢٩ـ لويس معلوف (المنجد) الطبعة السادسة عشرة بيروت سنة ١٩٦٠ م

٣٠ـ جبران مسعود (الرائد) ط ١ بيروت سنة ١٩٦٤ م ٠

٣١ـ أحمد بن فارس : (معجم مقاييس اللغة) ٠ تحقيق عبدالسلام هارون ط ٠ القاهرة ١٣٦٦ هـ ٠

٣٢ـ جمال الدين بن منظور ، محمد بن مكرم : (لسان العرب) ٠ ط ٠ دار صادر ودار بيروت ٠ لبنان ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م٠

٣٣ـ مجمع اللغة العربية بمصر : (المعجم الوسيط) ط ٠الأولى سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦٠ م ٠

٣٤ـ أحمد رضا : (معجم متن اللغة) ٠ ط بيروت سنة ١٣٧٧ هـ = ١٩٥٨ ٠ ج ١ ٠

٣٥ـ يشرح ابن منظور في اللسان ؛ الضياطرة في مادة ضطر [٠٠ الجوهرة : الضيطر الرجل الذي لا غناء عنده ، وكذلك الضوطر والضوطري ، وفي حديث علي : من يعذرني من هؤلاء الضياطرة ٠ هم الضخام الذين لا غناء عندهم ، الواحد ضيطار ، والياء زائدة] ٠

جمال الدين بن منظور : (لسان العرب) ٠ ط ٠ دارصادر ودار بيروت ٠ لبنان سنة ١٣٧٤ هـ = ١٩٥٥ م ٠

٣٦ـ ولعل منه الاحتشاء بمعنى الانبهار وانقطاع النفس ،الذي اشتق منه علماء الطب المعاصرون اصطلاحهم احتشاء عضلة القلب ٠

٣٧ـ في اللسان ؛ مادة : حشا : [قال أسماء بن خارجة يصف ذئبا طمع في ناقته وتسمى هبالة :

لي كل يوم من ذؤاله ضغث يزيد على ابالـه

فلأحشاتك مشقصاً أوساً ، أويس من الهباله

أويس : تصغير أوس وهو من أسماء الذئب ، وهو منادى مفرد ، وأوساً منتصب على المصدر ، أي عوضا ، والمشقص : السهم العريض النصل ؛ وقوله : ضغث يزيد على ابالة ، أي بلية على بلية ، وهو مثل سائر] ٠